أخبار عنترة العبسى

نسبه

هو عَنترة بن شَدّاد . وقيل : عَنترة بن عَمرو بن شدّاد . وقيل : عَنترة بن شَدّاد بن عمرو بن مُعاوية بن قُرَاد بن مَخزوم بن رَبيعة . وقيل : مَخزوم بن عوف ابن مالك بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيض بن الرَّيث بن غَطْفان بن سَعد ابن قيس بن عَيْلان بن مُضَر .

ويقال له : عنترة الفَلْحاء ؛ وذلك لتشقُّق شَفتيه .

أمه وإخوته

وأُمه حبشيّة ، يقال لها : زَبِيبة . وكان لها ولدٌ عَبِيدٌ من غير شدّاد ، فكانوا إخوتَه لأُمه .

نفى أبيه له ثم رده إليه

وكان أبوه نَفاه مَرَّةً ثم اعترف به فألحقه بنَسبه . وكانت العربُ تَفعل ذلك، تَستعبد بنى الإماء ، فإن أنجب اعترفت به وإلاّ بَقى عبداً .

امرأة أبيه وتحريشها أباه وشعره فى ذلك

وذُكر أن عنترة قبل أن يَدَّعيه أبوه حَرَّشتْ عليه امرأة أبيه وقالت : إنه يُراودنى عن نَفْسى. فغَضب من ذلك شدّاد وضَربه ضرباً شديداً مُبرِّحا ، وضَربه بالسيف ، فوقعتْ عليه امرأة أبيه وكفَّته عنه . فلما رأت ما به من الجِراح بكتْ . وكان اسمها سُمَيَّة — وقيل سُهَيّة — فقال عنترةُ فى ذلك :

أمِن سُمَيّة دَمْعُ العين مَذْروفُ ... لو أن ذا منكِ قَبل اليوم مَعْروفُ

كأنّها يومَ صدَّت ما تُكلِّمنى ... ظَبْيٌ بعُسْفان ساجِى الطَّرْف[1] مَطْروف

تَجلَّتنى إذ أَهْوَى العصا قِبَلى ... كأنها صَنَمٌ يُعْتاد[2] مَعْكوف

---

(١) عسفان : منهلة بين الجحفة ومكة . والساجى : الساكن . والمطروف : الذى أصابت عينه طرفة ؛ وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه .

(٢) تجلتنى : ألقت نفسها على . ويعتاد : يؤتى مرة بعد مرة . ومعكوف : يعكف عليه .

العَبدُ عَبدكمُ والمالُ مالكمُ فهل عذابُك عنّى اليومَ مَصْروف
تَنْسى بلائى إذا ما غارةٌ لَحِقتْ تَخرُج منها الطُّوالاتُ (١) السَّراعيف
يَخرُجن منها وقد بُلَّت رَحائلُها بالماء تَركُضها الشُّمُّ (٢) الغَطاريف
قد أَطعَنُ الطَّعنةَ النَّجْلاء عن عُرُضٍ تَصْفرُّ كفُّ أَخيها وهو (٣) مَنْزوف

سبب استلحاق أبيه إياه

وذُكر أنّ سبب اُستلحاق أبيه إيّاه أن عبساً أغارت على طَيِّء فأصابوا نَعَماً. فلما أرادوا القِسْمة قالوا لعنترة : لا نَقْسم لك نصيباً مثلَ أنصبائنا لأنك عَبْد . فلما طال الخَطْبُ بينهم كَرَّت عليهم طَيِّء . فاُعتزلهم عنترة وقال : دُونكم القومَ ، فإنكم عَدَدُهم . واُستنقذت طَيِّء الإبلَ . فقال له أبوه : كُرَّ يا عَنترة . فقال: أَوَ يُحسن العبدُ الكَرَّ ! فقال له أبوه : العبدُ غيرُك . فاُعترف به . فكرَّ واُستنقذ النَّعَم ، وجعل يقول :

أنا الهَجينُ عَنْتَرَهْ كلُّ اُمرىءٍ يَحْمى حِرَهْ
أَسودَه وأَحمرَه والشَّعراتِ المُشْعَره
الواردات مِشْفَره

أحد أغربة العرب

وعنترةُ أحد أَغربةِ العَرب ، وهم ثلاثة : عَنترة ، وأُمه زَبيبة ؛ والسُّلَيك بن عُمَير السَّعْدى ، وأُمه السُّلكة ؛ وخُفَاف بن عُمَير الشَّريدىّ ، وأُمه نُدْبة .

شعره فى الرد على قيس بن زهير وهو الذى فيه الغناء

وذُكر أن بنى عَبس أَغارت على بنى تَميم ، وعليهم قَيس بن زُهير بن جَذيمة العَبسىّ ، فاُنهزمت عَبس ، وطلبتْهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترةُ ، ولحقتْهم كَبْكبةٌ من الخيل ، فحامَى عنترةُ عن الناس فلم يُصَبْ مُدْبِر . وكان قيس بن زُهير سيِّدَهم ، فساءه ما صَنع عنترةُ يومئذ وحسده ، فقال حين رجع : والله ما حَمى الناسُ إلا اُبنُ

(١) الطوالات : الخيل . والسراعيف : السراع ؛ واحدتها : سرعوف .
(٢) الرحائل : السروج . والشم : التى بأنوفها ارتفاع . والغطاريف : السادة الكرام .
(٣) النجلاء : الواسعة . وعن عرض : عن شق وحرف .

السَّوداء ! وكان قيس أكولاً . فبلغ عنترةَ ما قال . فقال يُعرِّض به قصيدتَه ، التى منها الشعرُ الذى فيه الغِناء وافتتح به الفرج أخبار عَنترة ، وهى :

يا دار عَبْلةَ من مَشارِقِ (١) مَأْسَلِ ... دَرَسَ الشُّؤونُ وعهدُها لم يَنْجلِ
فاستبدلتْ عُفْرَ الظِّباء كأنما ... أبعارُها فى الصَّيف حَبُّ الفُلفُلِ
تَمشى النَّعامُ بها خلاءً حولَه ... مَشْىَ النَّصارى حولَ بيت الهَيْكل
احذَرْ محلَّ السَّوْءِ لا تَحْلُل به ... وإذا نَبا بكَ منزلٌ فتحوَّل

ومنها :

بَكرتْ تُخوِّفنى الحُتوفَ كأنَّنى ... أصبحتُ عن غَرَض الحُتوف بمَعْزِل (٢)
فأجبتُها أنَّ المَنيّة (٣) مَنهلٌ ... لا بُدَّ أن أُسقَى بكأس المَنْهل
فاقْنَىْ حياءَكِ (٤) لا أبالكِ واعلمى ... أنِّى امرؤٌ سأموت إن لم أُقْتَل
إنَّ المَنيّة لو تُمثَّلُ مُثِّلت ... مِثْلى إذا نَزلوا بضَنْكِ المَنْزل
إنِّى امرؤٌ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً ... شَطْرِى وأَحمى سائرى (٥) بالمُنْصُل
وإذا الكَتيبةُ أَحْجمتْ (٦) وتلاحَظتْ ... أُلْفيتُ خيراً من مُعَمٍّ مُخْوَل
والخيلُ تَعلم والفوارسُ أنَّنى ... فرَّقتُ جمعهمُ بضَربةِ (٧) فَيْصل
إذ لا أُبادر فى المَضيق فوارسى ... أو لا أُوَكَّلُ بالرَّعيل (٨) الأوَّل
إنْ يُلْحقوا أَكْرُرْ وإن يُستَلْحَموا ... أَشْدُدْ وإن يُلْفَوْا بضَنْكٍ أَنزل

(١) مأسل : رملة ؛ وقيل : جبل .
(٢) الحتوف : المكاره والمتالف . وعن عرض : ما يعرض منها .
(٣) المنهل : المورد .
(٤) اقنى حياءك : احفظيه ولا تضيعيه .
(٥) المنصل : السيف .
(٦) تلاحظت : نظر بعضهم إلى بعض .
(٧) الفيصل : الذى يفصل بين الناس .
(٨) إذ لا أبادر فى المضيق فوارسى ، أى لا أكون أول منهزم ولكنى أكون حاميتهم . والرعيل : القطعة .

حين النزولُ يكون غايَة مِثلنا ... ويَفِرّ كُل مُضَلَّلٍ [1] مُسْتَوْهِل
والخيلُ ساهمةُ الوُجوه كأنما ... تُسْقَى فوارسُها نَقيعَ الحَنظل
ولقد أَبيتُ على الطَّوى وأَظلُّه ... حتى أنالَ به كَرِيمَ المَأْكل

للنبى صلى الله عليه وسلم وقد أنشد بيتاً له

ورُوى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنشد قولَ عَنترة العبسىّ :

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأَظلّه ... حتى أنال به كريمَ المَأْكل

فقال صلّى الله عليه وسلّم : ما وُصف لى أعرابىٌّ قطُّ فأحببتُ أن أراه إلا عَنترة .

قوله عن شجاعته

وذكر أنه قيل لعنترة العَبسى : أنت أشجعُ العرب وأشدُّها ؟ قال : لا . قيل : فبماذا شاع لك هذا فى الناس ؟ قال : كُنتُ أُقدم إذا رأيتُ الإقدام عَزْماً، وأُحجم إذا رأيتُ الإحجام حَزما ؛ ولا أَدخل موضعاً لا أرى لى مخرجاً منه . وكنت أعتمد الضَّعيفَ الجَبان فأَضربه الضربةَ الهائلة يَطير لها قلبُ الشجاع فأُثَنِّى عليه فأَقتله .

خبر مقتله

وقد اُختُلف فى كيفية مَقتل عنترة : فمما ذُكر أنه غَزا طيّئاً مع قومه بنى عَبس فانهزمت عَبس ، فخَرّ عن فَرسه ولم يَقْدر من الكِبَر أن يَعُود فيركب ، فدخل دَغْلاً وأبصره رَبيئةُ [2] طيّىء ، فنزل إليه وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه، فقتله .

(١) المستوهل : الضعيف الفزع .
(٢) الربيئة : الطليعة .

أخبار أبي دلف العجلي

نسبه — وهو القاسم بن عيسى بن إدريس ، أحد بني عِجْل بن لُجَيم بن صَعب بن علىّ ابن بكر بن وائل .

مكانته — ومحلُّه من الشَّجاعة وعُلو المَنزلة عند الخلفاء ، وعِظَم الغَناء فى المَشاهد، وحُسن الأدب ، وجَودة الشِّعر ، محلٌّ ليس لأحدٍ من نُظرائه .

قال أبو الفرَج : وذِكْر ذلك أجمع ممّا لا مَعنًى له لطُوله ، وفى الغُرر [1] من أخباره مَقنع .

من جيد شعره — وله أشعار جيّدة وصَنعة كثيرة حَسنة . فمن جيّد شعره :

بنَفسى ياجِنَانُ وأنتِ منِّى ... مكانَ الرُّوح من جَسَد الجَبانِ
ولو أنِّى أقُول مكانَ نفسى ... لخِفْتُ عليك بادرةَ الزَّمان
لإقْدامى إذا ما الخيلُ حامتْ ... وهابَ كُماتُها حرَّ الطِّعان

وله فى الشيب — ومن جيِّد شعره قولُه فى الشَّيب :

فى كُلِّ يومٍ أَرى بيضاء قد طلعتْ ... كأنّما أُلقيت [2] فى ناظر البَصَرِ
لئن قَصصتُكِ بالمِقْراض عن نَظَرى ... فما قَصصتُك عن همِّى وعن فِكَرى

أراد الإفشين قتله فأرسل المعتصم ابن أبى دلف فأنقذه — وذُكر أنّ أبا دُلف العِجْلىّ كان فى جُملة مَن كان مع الإفشين [3] خَيْذر

(١) فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « وفى هذا القدر » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أنبتت » .
(٣) بالكسر كما ضبطه الزبيدى فى شرح القاموس . وشعر أبى تمام يزكيه :
لم يقر هذا السيف هذا الصبر فى ... هيجاء إلا عز هذا الدين
قد كان عذرة مغرب فافتضها ... بالسيف فحل المشرق الإفشين
غير أن عبارة رسالة الغفران (ص ١٦٦) تدل على أنه بفتح الشين وإسكان الياء .

ابن كاووس لما خَرج فى الجيُوش المُعتصميّة لمُحاربة بابك الخُرّمىّ، حين قَتله وفتح بلاده . ثم إن الإفشين تنكّر لأبى دُلَف فوجّـه يوماً بمن جاءه به ليقتُلَه . و بلغ المعتصمَ الخبرُ فبعث إليه بالقاضى أحمد بن أبى دُوَاد وقال له : أدركه، فما أُراك تَلحقه، واُحتل فى خَلاصه منه كيف شِئْت .

قال أحمـد : فمضيتُ راكضاً حتى وافيتُه ، فإذا أبو دُلف واقفٌ بين يديه ، قد أخذ بيده غُلامان له تُركيّان . فرميتُ بنَفسى على السِّماط — وكنتُ إذا جئتَه دعا لى بمُصلّى — فقال لى : سبحان الله ! ماحَملك على هذا ؟ فقلتُ : أنتَ أجلستنى هذا المجْلس . ثم كلّمتُه فى القاسم وســـألتُه فيه وخَضعت له . فجعل لا يَزداد إلا غلْظة . فلما رأيتُ ذلك قلتُ : هـذا قد عَرف منّى الرِّفق به ، ولَيس يَنفع ألاّ أخذُه بالرَّهبة والصِّدق. فقمتُ وقلت: كم تُراك قدَرتَ فى نفْسك ! تقتُل من أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد ، وتُخالف أمرَه فى قائد بعد قائد ! قد حملت إليـك هذه الرسـالةَ عن أمير المؤمنـين فهاتِ الجواب . قال : فذلّ حتى لَصِق بالأرض و بان لى الاضطراب فيه . فلما رأيتُ ذلك نهضتُ إلى أبى دُلَف فأخذتُ بيـده وقلتُ له : قد أخذتُه بأمر أمير المؤمنين . فقال : لا تفعل يا أبا عبـد الله . فقلت : قد فعلت . وأخرجتُ القاسم فحملتُه على دابّة ووافيتُ المُعتصم .

فلما بصُر بى ذكر لى خَبرى مع الإفشين حَدْسا وفِطْنة ، فما أخطأ فيه حَرْفاً .

ثم سألنى عما ذكره لى وهل هو كما قال . فأخبرتُه أنه لم يُخْطىء حَرفاً .

تعقيب ابن واصل على أخبار الإفشين

قلت :

إن الإفشين كان قد تمـكّن عنـد المُعتصم تمكُّنا كثيراً ، لأنه كان خَرج على المُعتصم بابكُ الخُرّمى فى الخُرّمية — وهم طائفة من الباطنية — واستولى على حُصون كثيرة ومَعاقل عظيمة ، واُستفحل أمره ، فجهّز المُعتصم إليه الجيُوش العظيمة ، وقدم عليها الإفشين، فحارب بابك حتى ظَفر به ، وتمـكّن الإفشين بسبب ذلك .

وكان المُعتصم قد صلب بابك الخُرَّمى بسُر من رأى ، لمّا أتاه به الإفشين ، ثم غضب المُعتصم بعد ذلك على الإفشين وحَبسه ، ثم قَتله وصَلبه على خَشبة إلى جانب خَشبة بابك .

إنكار ابن أبى دواد الغناء عليه

وذُكِر أن القاضى أحمد بن أبى دُوَاد كان يُنكر أمر الغِناء إنكاراً شديداً . فأَخبره المُعتصم أنّ صديقه أبا دُلف يُغنِّى ، فقال : ما أُراه مع عقله يفعل ذلك . فستَر المُعتصم أحمد بن أبى دُوَاد فى موضع وأَحضر أبا دُلف وأمره أن يُغنِّىَ . ففعل ذلك وأَطال . ثم أخرج ابن أبى دُوَاد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ فى وجهه . فلما رآه أحمد قال : سَوْءةً لهذا من فِعل ! بعد هذه السن وهذا المحَلّ تَضع نفسك كما أرى ! فخجل أبو دُلف من ذلك وقال : إنهم أكرهونى عليه . فقال : هَبْهم أكرهوك على الغِناء ، أفأكرهوك على الإحسان فيه والإصابة .

شعر على بن جبلة فى مدحه

وأبو دلف هو الذى قال فيه علىُّ بن جَبلة ، المعروف بالعَكَّوك :

إنّما الدُّنيا أبو دُلفٍ بين مَغْزَاه ومُحْتَضَرِهْ
فإذا وَلّى أبو دُلف ولَّت الدُّنيا على أثره

وأَحقد هذان البيتان المأمونَ حتى سَلَّ لسان علىّ بن جَبلة من قَفاه . وسيأتى ذكر ذلك فى أَخبار علىّ بن جَبلة .

هو وأبو البخترى

وحُكى أن أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال :

كُنا عند أبى العبّاس المُبرّد يوماً ، وعنده فتًى من ولد أبى البَخْترىّ القاضى أَمردَ حَسن الوجه ، وفتًى من ولد أبى دُلف العِجْلىّ شَبيه به فى الجَمال ، فقال المُبرِّد لابن أبى البَختَرِىّ : أعرف لجدِّك قصةً ظَريفة فى الكَرم حَسنة لم يُسْبق إليها . فقال : وما هى ؟ قال : دُعى رجلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضع ، فسقَوْه نبيذاً غير الذى كانوا يَشْربون منه ، فقال فيهم :

نَبيذان فى مجلسٍ واحدٍ لإيثـار مُـثْرٍ على مُقْـتِرِ
فلو كان فِعْلك ذا فى الطَّعامِ لَزِمْتَ قياسَك فى المُسْـكِرِ
ولو كنتَ تطلُب شأو الـكِرام صنعتَ صَنيع أبى البَخْتَرِى
تَتَّبع إخوانَه فى البـــلاد فأَغنى المُقِلَّ عن المُكثر

و بلغت الأبياتُ أبا البَخترىّ فبعث إليه بثلاثمائة دينار .

قال أبن عمار : فقلتُ: قد فعل جَدُّ هذا الفتى ما هو أحسنُ من هذا . فقالوا : وما فعل ؟ قلتُ : بلغه أن رجلاً أفتقر فقالت له أمرأته : أفْترِضْ فى الجند . فقال :

إليكِ عنِّى فقد كَلَّفتنِى شَطَطاً حَمْلَ السِّلاح وقولَ[1] الدَّارعين قِفِ
تَمشِى المَنايا إلى قومٍ فأَكرهُها فكيف أَسْعى إليها عارِىَ الكَتِف
حَسبتِ أنّ نَفادَ المـال غَـيَّرنى وأنّ رُوحِىَ فى جَنْبىْ أبى دُلف

فأحضره أبو دلف وقال له : كم أمّلت امرأتك أن يكون رزقك ؟ قال : مائة دينار . قال: وكم أمّلت أن تَعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : ذلك لك علىَّ على ما أَمّلتْ أمرأَتُك فى مالنا دون مال السلطان . وأمر بإعطائه إيّاه . قال : فرأيتُ وجه ابن أبى دُلف تهلّل ، وأنكسر ابن البَخْترىّ .

عتابه لابن جبلة على انقطاعه عنه وردّه عليه

وحَكى علىّ بن جبلة العَكوّك قال :

زُرت أبا دُلف بالجبل ، فكان يُظهر من برِّى وإكرامى والتَّحفِّى بى أمراً مُفرطا ، حتى تأخرتُ عنه حيناً حياءً . فبعث إلىّ مَعْقِل بن عيسى فقال : يقول لك الأمير : قد أنقطعتَ عنِّى ، وأحسبُك قد أستقللتَ برِّى وإكرامى ، فلا يُغضبنك ذلك ، فسأَزيدك فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قَطعنى إلا إفراطُه فى البِرِّ ، وكتبت إليه :

هجرتُكَ لم أَهْجُرْك من كُفر نِعْمةٍ وهل يُرْتَجى نيلُ الزيادة بالكُفْرِ
ولـكنّنى لمّا أتيتُك زائراً وأَفرطتَ فى برِّى عجزتُ عن الشُّكر

(١) فى الأغانى : « وقيل » .

فَمِلْآنَ لا آتيك إلا مُسَلِّماً أَزورك فى الشَّهرين يوماً أو[1] الشَّهر
فإن زِدْتنى بِرًّا تزايدتُ جَفوةً ولم تَلْقنى طُولَ الحياة إلى الحَشْر

فلما قرأها مَعقل اُستحسنها وقال : أحسنتَ والله ! أما إن الأمير لتُعجبه هذه المَعانى .

فلما أوصلها إلى أبى دُلف قال : قاتَله الله ! ما أَشعره وأدقَّ معانيَه ! وأَعجبتْه . وأجابنى لوقته ، وكان حَسن البديهة حاضرَ الجواب :

ألا رُبَّ ضَيفٍ طارقٍ قد بَسطتُه وآنستُه قبل الضّيافة بالبِشْرِ
أتانى يُرجِّينى فما حال دونه ودون القِرَى والعُرْفِ من نائلى سِتْرى
وجدتُ له فضلاً علىّ بقَصْده إلىّ وبِرًّا زاد فيه على بِرِّى
فزوَّدتُه مالاً يقِلُّ بقاؤه وزوَّدنى مَدحاً يدُوم على الدَّهر

قال: وبعث الأبيات إلىّ مع وصيف، وبعث إلىّ ألف دينار . فقلت حينذاك:

إنما الدنيا أبى دلف . . . الأبيات

اعتراف ابن جبلة بالتقصير فى حقه

وحكى إبرهيم بن خلف قال :

بينا أبو دُلف يَسير مع مَعقل ، ونحن إذ ذاك بالعِراق ، إذ مرّ بقَصر، فأَشرفت منه جاريتان . فقالت إحداهما للأُخرى : هذا أبو دُلف الذى يقُول فيه الشاعر :

إنما الدنيا أبو دلف . . .

فقالت الأُخرى : أو هذا هو ؟ قد والله كنتُ أُحبّ أن أَراه منذ سمعتُ ما قِيل فيه . فالتفت أبو دُلف إلى مَعْقل وقال : ما أَنصفْنا علىّ بن جَبلة ولا وفّيناه حقَّه .

(١) فى الأصل : « وفى » مكان « أو » .

أخبار سعيد بن عبد الرحمن

طبقته فى الشعر

قد مَضى نسبُ جدِّه حسّان ، وهو شاعر من شُعراء الدَّولة الأمويّة، متوسّط فى طَبقته ، ليس معدوداً من الفُحول .

هو وخلفاء بنى أمية

وفد إلى الخُلفاء من بنى أُميّة فمدَحهم ووَصلوه ، ولم تكن له نَباهة أَبيه وجدِّه .

هو وهشام وابن عبد الأعلى

وذُكِر أنّ سعيد بن عبد الرحمن وَفد على هشام بن عبد الملك ، وكان جميلَ الوجه . واُختلف إلى عبد الصَّمد بن عبد الأَعلى ، مؤدِّب الوليد بن يزيد ، وكان لُوطيًّا زِنْديقاً ، فأراده على نفسه . فدخل سَعيدٌ على هشام مُغضَباً وهو يقول :

إنه والله لولا أنت لم ... يَنْجُ منِّى سالماً عبدُ الصَّمَدْ

فقال هشام . ولم ذا ؟ فقال :

إنه قد رام منِّى خُلةً ... لم يَرُمْها قَبله منِّى أَحَدْ

فقال : وما هى ؟ فقال :

رام جهلاً بى وجهلاً بأبى ... يُدخل الأَفْعى إلى غِيل الأَسَدْ

فضحك هشامٌ وقال : لو فعلتَ به شيئاً لم أُنكر عليك .

لم يقض له ابن حزم حاجة وقضاها غيره فهجاه

وذُكِرَ أنّ سعيد بن عبد الرحمن سأل أبا بكر محمد بن عَمرو بن حَزم حاجةً له . فكلّم فيها سليمان بن عبد الملك ، فلم يَقْضها له . ففَزع فيها إلى غيره ، فقَضاها . فقال :

سُئلتَ فلم تَفْعل وأدركتُ حاجتى ... تَولَّى سواكم حَمْدَها واُصطناعَها

أَبَى لك كَسْبَ الحمد رأىٌ مُقصِّرٌ ونفسٌ أضاق اللهُ بالخير باعَها
إذا ما أرادتْه على الخير مرةً عَصاها وإن هَمَّت بشرٍّ أَطاعها

أوصى ابن الرقاع رجلا من الأنصار بشعره

وحُكى أن رجلاً من الأنصار قال لعدىّ بن الرِّقاع : اكتُبنى شيئاً من شعرك . قال : ومِن أىّ العرب أنت ؟ قال : رجلٌ من الأنصار . قال : مَن منكم القائل :

إنّ الحمامَ إلى الحجاز يَهيج لى طَرَباً تَرَنُّمه إذا يترنَّمُ
والبرقُ حين أَشيمُه مُتيامِناً وجنائبُ الأرواح حين تَنسَّم

فقال له : سعيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . فقال له : عليكم بصاحبكم فأكتُب شعره ، فلستَ تحتاج معه إلى غيره .

من شعره

وهذا الشعرُ من قصيدة ، منها :

بَرِحَ الخفاء فلست[1] مابك تكتُمُ والشَّوقُ يُظهر ما تُسِرّ فيُعْلَمُ
وحملتَ سُقْماً من علائق حُبِّها والحبُّ يَعْلَقه الصحيحُ فيَسْقَم
علويّةٌ أَمست ودون مَزارها مِضمارُ مصرَ وعابدٌ[2] والقُلْزُم
خَوْدٌ تُطيف بها نواعمُ كالدُّمَى مما أُصطفى ذو النِّيقة[3] المُتوسِّم
حُلِّين مَرْجانَ البحُور وجوهراً كالجمر فيه على النُّحور يُنظَّم

ومنها :

لو لَحّ ذو قَسَم على أن لم يكن فى الناسِ مُشْبِهُها لَبَرَّ المُقسِم
من أجلها تَرْكى القَرارَ وخَفْضَه وتَجشُّمى ما لم أكن أتجشَّم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فأى » مكان « فلست » .
(٢) عابد : جبل بمصر . والقلزم : بلد قرب جبل الطور ، إليها يضاف بحر القلزم .
(٣) النيقة : التخير .

ولقد كتمتُ غـداةَ بانتْ حاجةً ... فى الصَّدر لم يعـلم [1] بها مُتكلِّم
رَقراقةٌ فى عُنفوان شَبابهـا ... فيهـا عن الخُلُق الدَّنىِّ تَـكرُّم
ضَنَّت على مُغْرًى بطُول سُـؤالها ... صَبٍّ كما يَسَلُ الغـنىَّ المُعْـدِم

والشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبـار سعيد بن عبد الرحمن شعره الذى فيه الغناء ابن حسان ، هو قولُه :

عَتَق الفؤادُ من الصِّبَا ... ومن السَّفاهة والعَـلَاقِ
وحططتُ رحـلى عن قَلُو ... صِ الغىِّ فى قُلُصٍ عِتَاق
ورفعتُ فضـلَ إزارىَ الـ ... مَجرور عن قَدمى وساقى
وكَففتُ غَرْب النَّفس حـتَّى ما تتوق إلى مَتـاق

(١) فى الأصل : « لم يك لى » مكان « لم يعلم » .

أخبار الأخطل (*)

نسبه

هو غِياث بن غَوْث بن الصَّلْت بن طَارقة بن (١) سَيْحان بن عَمرو بن الفَدَوْكس بن عمرو بن مالك بن جُشَم بن بكر بن حَبيب بن عَمرو بن غُنْم بن تَغلب . ويكنى : أبا مالك .

وقيل : هو غِياث بن غَوث بن سَلمة بن طارقة .

ويقال لسلمة : سَلَمَةُ اللحّام .

جده أحد فرسان العرب

ويقال : إن النُّعمان بن المُنذر بَعث بأَربعة أرماح لفُرسان العرب . فأَخذ أبو بَرَاء عامرُ بن مالك رُمحاً ، وسَلَمة بن طارقة اللحّام — جد الأخطل — رُمْحاً ، وأَنس بن مُدركة (٢) رُمحاً ، وعَمرو بن مَعد يكرب رُمحاً .

سبب تلقيبه بالأخطل

والأخطل لقبٌ غَلب على غِياث بن غَوث . قيل : إنه هجا رجلاً من قومه ، فقال : يا غلام ، إنك لأَخطل . فغَلبت عليه . والأخطل : السَّفيه .

محله فى الشعر

وكان الأخطل نَصرانيًّا من أهل الجَزيرة : ومحلُّه فى الشِّعر أكبرُ من أن يَحتاجَ إلى وَصف .

هو وجرير والفرزدق

وهو وجَرير والفَرزدق طبقةٌ واحدة . جعلها ابنُ سلّام أولَ طَبقات الإسلام. ولم يَقع إجماعٌ على أحدهم أنه أفضلُهم . ولكُل واحدٍ منهم طبقةٌ تُفَضِّله على الجماعة .

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار الأخطل حديثاً قصيراً عن « البردان » المغنى . مرعنه ابن واصل.

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ويقال : ابن » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « مدرك » .

طريقته فى الشعر

وذكر الأصمعىُّ أن الأخطل كان يقــول تِسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيُظهرهــا[1].

بين نوح بن جرير وأبيه فى شأنه

وحَـكى نُوح بن جَرير قال :

بينا أنا آكُل مع أبى يوماً ، وفى فيه لُقمة وفى يده أُخرى ، إذ قلتُ : يا أَبى، أنت أشعرُ أم الأخطل ؟ فَجرِض بالتى فى فيه ورَمى بالتى فى يده ، وقال : يا بُنىّ ، لقد سرَرْتَنى وسُؤتنى ، فأمّا سُرورك إيّاى فَلِتَعهُّدك لمثل هذا وسُؤالك عنه ؛ وأما ما سُؤتَنى به فَلِذكرك رجلاً قد مات ! يا بُنىّ ، أدركتُ الأخطل وله نابٌ واحد ، ولو أدركتُــه وله ناب آخر لأَكلنى به . وأعانى عليه خَصلتان : كِبرُ سِنّ ، وخُبْث دِين .

لحماد وقد سئل عنه

وسُئل حمّاد الراوية عن الأخطل فقال : ما تَسألوننى عن رجل قد حَبَّب إلىّ شعرُه النَّصرانيةَ .

لأبى عمرو فيه

وقال أبو عُبيدة : قال أبو عمرو :

لو أدرك الأخطلُ يوماً من أيام الجاهليّة ما قدّمتُ عليه أحداً .

ويقال : إن الأخطل أدركه جريرٌ وقد تحطّم . وكان الأخطل أسنَّ من جرير .

لأبى عبيدة فيــه

وكان أبو عُبيدة يقول :

أشعرُ[2] أهل الإسلام : الأخطل ، ثم جرير ، ثم الفرزدق .

وكان أبو عمرو يُشبِّه الأخطل بالنابغة ، لصحّة شِعره .

هو وعبد الملك ابن مروان

وذُكِر أن الأخطل قال يوماً لعبــد الملك بن مَروان : أمير المؤمنين ، زَعم ابنُ المراغة أنه يبلُغ مِدْحتك فى ثلاثة أيام ، وقد أقمت فى مِدْحتك :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فيطيرها » . (٢) فى الأغانى : « شعراء » .

* خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا *

سنة ، فما بلغتُ كُلَّ ما أردتُ . فقال له عبد الملك : فأَسْمعناها يا أخطل . فأَنشده إياها .

قال الراوى : فرأيتُ عبد الملك يتطاول لها . ثم قال : ويحك يا أخطل ! تُريد أن أكتب إلى الآفاق أنّك أشعرُ العرب ؟ قال : أكتفى بقول أمير المؤمنين . فأَمر له بجَفْنة كانت بين يَدَيْه فمُلئت دَراهم ، وأُلقيت عليه خِلْعة[1] . وخَرج به مولًى لعبد الملك على الناس يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين ! هذا أشعرُ العرب !

وقيل : لما أنشد الأخطلُ عبد المَلك هذه القصيدةَ و بلغ إلى قوله :

شُمسُ العَداوة حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

قال عبد الملك : هذه المُزمِّرة ! والله لو وَقعت على زُبَر الحديد لأَذابتها ! ثم أمر له بخِلَع . فخُلعت عليه حتى غاب فيها ، وجعل يقول : إن لكُل قوم شاعراً ، و إنّ الأخطل شاعر بنى أُمية .

أعجب عبد الملك ببيت لكثير فأنشده خيراً منه

وقيل : أُنشد عبدُ الملك قولَ كُثيّر :

فما تركوها عَنوةً عن مَودَّة ولكنْ بحدِّ المَشرفيِّ اُستقالَها

فأُعْجِب بها . فقال الأخطل : ما قلتُ لك والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه .

قال : وما قلت ؟ قال : قلتُ :

أَهَلُّوا من الشَّهر الحَرام فأَصبحوا موالِيَ مُلْكٍ لا طَرِيفٍ ولا غَصْبِ

جعلتُه لك حقًّا وجَعلك ذاك أنّك أخذتَه غَصْباً . قال : صدقتَ .

تفضيله نفسه على جرير و الفرزدق

وحكى شيخٌ من قُريش قال :

رأيتُ الأخطل خارجاً من عند عبد الملك بن مروان ، فلما اُعتزل[2] دنوتُ

(١) فى الأغانى : « وألقى عليه خلعاً » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « انحدر » .

منه فقلت : يا أبا مالك ، مَنْ أشعرُ العرب ؟ قال : هذان الكَلْبان المُتعاقران من بنى تَميم — يعنى جريراً والفرزدق — فقلت له : فأين أنت منهما ؟ فقال : أنا واللاتِ أشعرُ منهما . فحلف باللات هُزُؤا واستخفافاً بدينه .

نصيحة رجل من شيبان له أن يهجو جريراً

وذُكر أنّ رجلاً من بنى شَيبان جاء إلى الأخطل فقال : يا أبا مالك : إنّا وإن كُنا بحيث تعلم من افتراق العَشيرة واتصال الحرب والعداوة ، تجمعنا ربيعةُ ؛ وإن لك عندى نُصحاً . قال : هاته ، فما كذبتَ . قلتُ : إنك هجوتَ جريراً ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنىٌّ عن ذلك ، والإسلامُ (١) يبسُط لسانه بما يَقبض لسانَك عنه . ويَسُب ربيعةَ سبًّا لا تَقدر على سبّ مُضَر بمثله ، والمُلك فيهم والنُّبوة قبله . فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارَّته ومُهارَّته . فقال : صدقت فى نُصحك وعرفتُ مرادك ، وصلتْكَ رحِم ! فوالصَّليب والقُربان لأتخلَّصن إلى بنى كُليب خاصةً دون مُضَر بما يَلْبَسهم خِزْيُه ويَشملهم عارُه . ثم أعلم أن العالِمَ بالشعر لا يُبالى — وحقِّ الصليب — إذا مر به البيتُ السائر الجيِّد أمُسلمٌ قاله أم نَصرانىّ .

هو وعبد الملك فى الإسلام

وحُكِى أنّ الأخطل قَدم على عبد الملك بن مروان ، فنزل على سَرجون (٢) كاتبه . فقال عبدُ الملك : على مَنْ نزلتَ ؟ فأخبره . فقال : قاتَلَك الله ! ما أعلمك بصالح المنازل ! فما تريد أن يُنزلك ؟ (٣) قال : دَرْمَكٌ (٤) من دَرْمَككم ، ولَحم وخَمر من بَيْت رأس (٥) . فضحك عبد الملك وقال له : ويلك ! وعلى أىّ شىء

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ولا سيما أنه » مكان « والإسلام » .

(٢) كذا فى الأصل ، وهى رواية الطبرى أيضاً . والذى فى العقد الفريد (٢ : ٣١٧) : « سرحون » بالحاء المهملة .

(٣) أى ما يبرك به .

(٤) الدرمك : دقيق الحوارى .

(٥) بيت رأس : اسم لقريتين معروفتين بالكروم والخمر .

أقتتلنا إلا على هذا ! ثم قال : ألا تُسلم فنَفرِضَ لك فى الفَىء ونُعطيك عشرة آلاف دِرهم ؟ قال : وكيف بالخمر ؟ قال : وما تَصنع بها ، فإن أولهـا لمُرّ وإن آخرها لسُكر ! قال : أمّا إذ قلتذاك ، فإن فيما بين هاتين المنزلتين لمنزلةً ما مُلكك فيها إلا كعُلقة من ماء الفُرات بالإصبع . فضحك ثم قال : ألا تزور الحجّاج فإنه كتب يَستزيرك ؟ قال : أطائعٌ أم كاره ؟ قال : بل طائع . قال : ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ، ولا قُربه على قُربك ، إنى إذاً لكما قال الشاعر :

كمُبتاعٍ بمَركبه (١) حماراً تَخيَّره عن (٢) الفرَس الكريمِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمره بمديح الحجّاج ، فمدحه بقوله :

صَرَمتْ حبالَك زينبٌ ورَعُومُ وبدا المُجَمجَمُ منهما المَكتومُ

ووجّه القصيدة مع أبنه إليه ، وليست من جيّد شعره .

شعره يخوف عبد الملك من زفر بن الحارث

وكان زُفر بن الحارث الكِلابىّ عاصياً لعبد الملك بن مروان بقِرْقِيسِيا . (٣) فاستنزله منها عبدُ الملك وأمّنه . فقال الأخطلُ يُخوِّف عبدَ الملك منه :

بنى أُميـةَ إنّى ناصحٌ لكمُ فلا يَبيتنّ فيكم آمناً زُفَرُ

مُفترشاً كافتراش الكَلْب (٤) كَلْكَلَه لوقعةٍ كائنٍ فيها لكم (٥) جَزَر

هو وعبد الملك وذو الكلاع فى أمر زفر

وذُكِر أن عبدالملك لما استنزل زُفر من قِرْقِيسيا وأمّنه أقعده معه على سريره . فدخل عليه ابنُ ذى الكَلاع ، فلما نَظر إليه مع عبد الملك بكى . فقال له : مايُبكيك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أبكى وسيفُ هذا يقطر دماً من دماء قَومى فى طاعتهم لك وخلافِه عليك ، ثم هو معك على السَّرير وأنا على الأرض !

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ليركبه » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « من » .
(٣) قرقيسيا : بلد على الفرات .
(٤) فى رواية : « الليث » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « فيها له » .

فقال : إنِّى لم أُجْلسه معى أن يكون أكرمَ علىَّ منك ، ولكنّ لسانَه لسانى وحديثه يُعجبنى . فبلغت الأخطلَ وهو يشربُ ، فقال : أما والله لأقُومن فى ذلك مقاماً لم يقُم فيه ابنُ ذى الكَلاَع . ثم خَرج حتى دخل على عبد الملك ، فلما ملأ عينَه منه قال :

وكأسٍ مثلِ عينِ الدِّيك صِرفٍ تُنسِّى الشاربين لها العُقولاَ
إذا شَرب الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يَطُولا
مَشى قُرشيّةً لا شك فيها وأَرخى من مآزره الفُضولا

فقال له عبد الملك : ما أخرج هذا منك إلا خُطّة فى رأسك . قال : أجل والله يا أمير المؤمنين ، حين تُجلس هذا عدوّ الله معك على سريرك ، وهو القائل بالأمس :

وقد يَنْبُت المَرعى على دِمنَ الثَّرى وتَبقى حَزازاتُ النُّفوس كما هِيَا

فقبض عبدُ الملك رجلَه وضَرب بها صدر زُفر فقلبه عن السرير ، وقال : لا أذهب الله حَزازات تلك الصُّدور ! فقال : أنشُدك الله يا أمير المؤمنين والعَهدَ الذى أعطيتَنى ! فكان زُفر يقول : ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلا تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال .

قوله فى فضله الشعراء

وذُكر أن الأخطل قال :

فضلتُ الشعراء فى المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحقوننى فيه . فأما النَّسيب فقولى :

ألا يا أُسلمى يا هِنْدُ هندَ بنى بَدْر وإن كان حيَّانَا عِدًى آخرَ الدَّهرِ
من الخَفِرات البِيض أمَّا وشاحُها فيَجرى وأما القُلْبُ[1] منها فلا يَجرى

(١) القلب : السوار .

تموت وتحيا بالضَّجيع وتَلْتَوى بمُطَّرِدِ المَتْنَيْنِ مُنْبَتِرِ الخَصْرِ

وقولى فى المديح :

نفسى فداءُ أميرِ المؤمنين إذا أبدَى النَّواجذ يوماً عارمٌ (١) ذَكَرُ
الخائضُ الغَمرةِ المَيمونُ طائرُه خليفةُ الله يُسْتَسقى به المَطَرُ

وقولى فى الهجاء :

وكنت إذا لقيتَ عَبيد تَيْم وتَيماً قلتَ أيُّهم العَبيدُ
لئيمُ العالَمين يَسُود تيماً وسيِّدُهم وإن كَرِهوا مَسُودُ

قال عبد الخالق بن حَنظلة الشَّيبانى ، راوى هذا الخبر :
وصَدق لعَمرى ، إنّه فَضلهم .

شعره فى مطلقة تزوجها

وذُكر أنّ أعرابيًّا طلَّق زوجته فتزوّجها الأخطل . وكان الأخطلُ قبل ذلك قد طَلَّق امرأته . فبينا هى معه إذ ذَكرت زوجها الأول ، فتنفَّست ، فقال الأخطل :

كلانا على هَمٍّ يبيتُ كأنما بجَنْبيه من مَسِّ الفِراش قُروحُ
على زَوجها الماضى تَنوح وإنّنى على زَوْجتى الأُخرى كذاك أَنُوح

شعره فى امرأة من قومه هجته

وذكر أن الأخطل هجتْه جاريةٌ من قومه ، فقال لأبيها : يا أبا الدَّلْماء ، إن ابنتك تعرَّضت لى فأكفنيها (٢) . فقال له : هى امرأة مالكة لأمرها . فقال الأخطل :

ألا أَبْلِغ أبا الدِّلْماء عنّى بأنّ سِنانَ شاعرِكم قَصيرُ
فإنْ يَطْعُنْ فليس بذى غَناء وإن يُطْعَن فمَطعنه يَسير

(١) العارم : الشديد .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فاكففها » .

مـــتى ما أَلْقـه ومعى سِـلاحى يخرّ على القَفـــا وله [1] نَحِير

فمشى أبوهـا فى رجال قومه إلى الأخطل ، فـكلّموه . فقال : ما مضى قد مضى ولا أزيد .

الهجاء بينه وبين جرير فى حضرة عبد الملك وقصة أبى سواج

وذكر أنّ الأخطلَ دخلَ على عبد الملك بن مروان وعنده جريرٌ ، فقال : يا أخطل ، هذا — يعنى جريراً — يَسُبك ! وجريرٌ جالس . فأقبل عليه جرير وقال : أين تركت خنازير أُمّك ؟ قال : راعيةً مع أَعيار أَبيك [2] ، وإن أَتيتنا قَرَيناك منها . فأَقبل جرير على عبد الملك فقال : يا أمير المُؤمنين ، إن رائحة الخَمر لتفوح منه . فقال : صَدق يا أمير المؤمنين ، وما أعتذر من ذلك . ثم قال :

تَعيبُ الخمر وهى شرابُ كِسْرى ويشرب قومُك العَجبَ العَجِيبا

مَنِيُّ العَبْـد عبدِ أبى سُوَاجٍ أَحقُّ من المُـدامة أن تَعيبا

والبيت الثانى للأخطل إنما يُفهم بذكر حكاية عجيبـة أوردها أبو الفرج ، وهى : أن أبا سُوَاج عبّاد بن خَلف الضَّبّى جاور بنى يَرْبوع ، وكانت له فرسٌ يقال لها : بَذْوة ، وكانت لصُرَد بن جَمْرَة اليَربوعىّ فرسٌ يقال لها : القَضيب ، فتراهنـا عشرين بعشرين ، فسبقت بَذْوة ، فظلَمه صُرد بن جَمْرَة حقَّـه ومَنعه سَبَقَه ، وجعل صُرد يفجُر بامرأة أبى سُواج . ثم إن أبا سُواج ذَهب إلى البحرين يَمتار ، فلما أقبل راجعاً ، وكان رجلاً مُعجَباً بنفسه ، جعل يقول وهو يَحْدو :

* ياليت شعرى هل بَغَت من بَعْدى *

فسمع قائلاً يقول من خَلفه :

* نعم بمكوىٍّ قَفـاه جَعْـــدى *

فعاد إلى قوله : فأجابه بمثل ذلك . وقَدم إلى منزله فأقام مُدة . فتغاضب صُرد

(١) وهى رواية الديوان . والذى فى الأغانى المطبوع : * يخر على قفاه فلا يحير * .
(٢) فى الأغانى : « أمك » .

ابن جَمرَة على امرأة أبى سُواج وقال لها : لأرضى أو تَقُدِّى لى من اُست أبى سُواج سَيراً . فأخبرت زوجَها بذلك . فقام إلى نَعجة له فذبحها وقَدَّ من باطن أَلْيتها سيراً فَدفعه إليها . فجعله صُرد بن جَمرَة فى نَعله ، وقال لقومه : إذا أقبلتُ وفيكم أبى سُواج فسَلُونى : من أين أقبلتَ ؟ ففعلوا . فقال : مِن ذى بِلِيّان[1] ، وأُريد ذا بِلِيّان . وفى نَعْلى شراكان من اُست إنسان . فقام أبو سُوَاج فطَرح ثوبه وقال : أنشُدكم الله ! هل ترون بأساً ؟ ثم أمر أبو سُواج غُلامين له راعيين أن يأخُذا أَمةً له فيتراوحاها ، ودفع إليهما عُسًّا وقال : لَئن قطرتْ منكما قطرةٌ فى غير العُسّ لأَقتلنّكما . فباتا يتَراوحانها و يصُبّان ما جاء منهما فى العُسّ . وأمرها أن يحلُبا عليه . فحلَبا حتى ملآه . ثم قال لأمرأته : والله لتسقينّه صُرداً أو لأقتلنّك . واُختبأ وقال : ابعثى إليه حتى يأتيَك . فأتاها كعادته ، كما كان يأتيها . فرحّبت به وأستبطأتْه . ثم قامت إلى العُسّ فناولتْه إيّاه . فلما ذاقه رأى طعماً خبيثاً وجعل يتَمطَّق[2] من اللبن الذى شَرب ، وقال : إنى أرى لبنكم خاثراً ، أحسب إبلكم رعت السّعدان . قالت : إن هذا من طول مُكثه فى الإناء ، أقسمتُ عليك إلّا شربتَه . فلما وقع فى بطنه وجد الموت . فخرج إلى أهله ولا يَعلم أصحابه بشىء من أمره . فلما جَنّ على أبى سُواج الليل أمر أهلَه وغلمانه فأنصرفوا إلى قومه ، وخَلّف الفرس وكَلبه فى الدار ، فجعل الكلبُ يَنبح والفرس يَصهل ، وذلك ليظن القومُ أنه لم يَرحل . فساروا ليلتهم والدارُ ليس فيها غيرُه وكلبه وفرسه وعُسه . فلما أصبح ركب فرسه وأخذ العُس ، فأتى مجلس بنى يَربوع فقال : جزاكم الله من جِيران خيراً ، لقد أحسنتُم الجوار وفعلتم ما كنتم أهلَه . فقالوا : يا أبا سُواج ، ما بدا لك فى الأنصراف عنّا ؟ فقال : إن صُرد بن جَمرَة لم يكن فيما بينى و بينه مُحْسناً ، وقد قلتُ فى ذلك :

(١) ذو بليان : موضع .

(٢) يتمطق : يتذوق .

إن المَنِيّ إذا سَرى في العَبد أصبح[1] مُسمغدًّا
أتُنسال سَلْمى باطلاً وخُلِقْتُ يوم خُلقتُ جَلْدَا
صُردَ بن جَمرَة هل لقيـ ـتَ رئيئةً لبناً[2] وعَصْدَا

ألا واعلموا أن هذا القَدح قد أحبل منكم رجلاً ، وهو صُردبن جَمرَة . ثم رمى بالعُسّ على صخرة فانكسر . وركض فرسَه وتنادَوْا : عليكم الرجلَ ، فأعجزهم . ولحق بقومه . فقال فى ذلك عُمر بن لجأ التَّيمى :

تُمسِّح يَربوعٌ سِبالاً لئيمةً بها من مَنِيِّ العَبد رَطْبٌ ويابسُ

وإيّاه يعنى الأخطل بقوله يُعير جريراً :

تَعيب الخمر وهى شرابُ كسرى ويَشرب قومُك العجبَ[3] العَجيبَا
مَنِيُّ العبد عبدِ أبى سُواج أحقُّ من المُدامة أن تَعيبا

حبس القس له ثم إطلاقه إياه

وحكى إسحاق بن عبد الملك النَّوفلى قال :

قدمتُ الشام وأنا شابٌّ أطوفُ كنائسها ، فدخلتُ كنيسةَ دِمَشق ، فإذا الأخطلُ بها محبوس ، فجعلتُ أنظر . فسأل عنّى ، فأُخبر بنَسبى . فقال : يا فتى ، إنك رجلٌ شريف ، وإنِّى أسألُك حاجةً . فقلتُ : حاجتُك مقضيَّة . قال : إن القَسّ حَبسنى هاهنا . فتُكلِّمه ليُخلِّى عنِّى . فأتيتُ القَسّ فانتسبتُ له . فرحَّب بى وعظَّم . وقلت : إن لى إليك حاجةً . قال : وما حاجتك ؟ قلت : الأخطل . قال : أُعيذك بالله من هذا ! مثلُك لا يتكلّم فى فاسق يأخذ أعراض الناس ويهجوهم ! فلم أزل أطلُب إليه حتى مَضى متكئاً على عصاه ، فوقف عليه ورَفع عصاه وقال : يا عدو الله ، أتعود تشتُم الناس وتهجوهم وتقذِف المُحصنات ! وهو

(١) المسمغد : المرتوى من اللبن .
(٢) الرئيئة : اللبن الحامض . والعصد : تحريك العصيدة .
(٣) فى الأصل : « العجابا » .

يقول : لستُ بعائد ولا أفعـل ، ويَستخذى له . فقلت له : يا أبا مالك ، النـاس يهابونك ، والخليفةُ يُـكرمك ، وقدرُك فى الناس قدرُك ، وأنت تَخضع لهذا هذا الخُضوع وتَستخذى له ! فجعل يقول : إنه الدِّين .

هو وامرأته وأسقف مر بهما

وذُكر أن امرأة الأخطل كانت حاملاً ، فمر الأُسْقُف يوماً ، فقال لها : ألْقيه فتمسحى به . فعـدَتْ فلم تَلْحق إلّا ذَنَب حماره ، فتمسّحت به ورجعتْ فأخبرتْه . فقال لها : هو وذَنَب حماره سواء .

هو وهشام فى الإسلام

وقيل : سمع هشامُ بن عبد الملك الأخطلَ يقول :

وإذا أُفتقرتَ إلى الذَّخائر لم تجدْ ذُخراً يكون كصالح الأعمالِ

فقال : هنيئاً لك يا أبا مالك هذا الإسلام ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ما زلتُ مُسلماً فى دينى .

هو وثقيل

وذُكر أن الأخطل بينما هو جالسٌ يتحدّث مع امرأة من قومه ، وبين يديه باطيةٌ من شراب ، والمرأة تتحدّث وهو يشرب ، إذ دخل رجلٌ فجلَس . فثقُل على الأخطل وكرِه أن يقول : قُم ، استحياءً منه . وأطال الرجل الجلوسَ إلى أن أقبل ذُباب فوقع فى الباطية فى شرابه . فقال له الرجل : يا أبا مالك ، الذباب فى شرابك . فقال :

وليس القَذى بالعُود يسـقُط فى الإنَا ولا بذُباب خَطْبُـــه أيسر الأَمرِ
ولـكنّ شخصاً لا نُسَرُّ بقُربه رمتْنا به الغِيطانُ من حيث لا ندرى

فقام الرجلُ وانصرف .

مدحه عكرمة بن زبعى

وذُكر أن الأخطل قدم الـكوفةَ فأتى حَوْشب بن رُوَيْم الشَّيبانى ، فقال : إنى تحمّلتُ حَمالتين لأحقِن بهما دماء قومى . فَنهره . فأتى سيّارَ بن الفريعة[1] ، فسأله ، فاعْتذر . فأتى عِكْرمة الفيّاض ، وكان كاتباً لبِشْر بن مَروان والى العراقين

(١) فى بعض أصول الأغانى : « البزيعة » .

لأخيه عبد الملك ، فسأله وأخبره بما رَدَّ عليه الرجلان . فقال : أمّا إنّى لا أنهرك ولا أعتذر إليك ، ولكنّى أُعطيك إحداهما عيناً والأُخرى عَرَضاً .

أول مدحه عكرمة بن ربعى

وحدَث أمر بالكوفة فاجتمع له الناسُ فى المسجد ، فقيل للأخطل : إذا أردت أن تُكافىء عِكرمة يوماً فاليوم . فلَبس جُبَّة خزّ ورَكب فرساً وتقلّد صَليباً من ذهب ، وأتى باب المسجد فنزل عن فرسه . فلما رآه حَوْشب وسيّار نَكَّسا رأسيهما . فقال له عِكْرمة الفيّاض : إلينا يا أبا مالك . فأ بتدأ يُنشده قصيدته التى أولها فيها الغناء ، وأفتتح بها أبو الفرج أخبار الأخطل ، وهى :

لمن الدِّيارُ بحائلٍ[1] فُوعالِ ... دَرَستْ وغيَّرها سِنونُ خَوالِى
دَرَج البوارحُ فوقها فتنكَّرت ... بعد الأَنيسِ معارفُ الأَطلال
دِمَنٌ تُزَعزعها الرياحُ وتارةً ... تعفو بمُرْتَجز السَّحاب ثِقَال
فكأَنما هىَ من تقادُم عهدها ... وَرَقٌ نُشِرْن من الكتاب بَوالى

حتى أنتهى إلى قوله :

إنّ ابن رِبْعىٍّ كَفانى سَيْبُه ... ضِغْنَ العُداة ونَبْوة[2] البُخّال
أغليتَ حين تواكلتنى وائلٌ ... إنّ المكارمَ عند ذاك غَوالى
ولقد مَننتَ على ربيعةَ كُلِّها ... وكفيتَ كُلَّ مُواكِلٍ خَذَّال
كابن الفريعة[3] أو كآخرَ مثلِه ... أَوْلى لك[4] ابنَ مُسيمةِ الأجمال
إنَّ اللئيم إذا سألتَ بَهرْتَه ... وترى الكريمَ يَرَاح كالمُختال
وإذا عدلتَ به رجالاً لم تجدْ ... فيضَ الفُرات كراشِح الأَوشال

فجعل عِكْرمه يَبتهج ويقول : هذا والله أحبُّ إلىّ من حُمْر النَّعم !

(١) حائل : موضع باليمامة . ووعال : جبل بسماوة كلب بين الكوفة والشام .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ضغن العدو وغدرة المحتال » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « البزيعة » .وفى الديوان (ص ١٥٩) : « مثل ابن بزعة » .
(٤) أولى لك : ويل لك .

ثم ذكر أبو الفرج :

أخبار سائب خاثر

ولاؤه

وهو مولى بنى لَيث . وأصله من فَىء كِسْرى . واشترى عبدُ الله بن جَعفر ابن أبي طالب ولاءه من مواليه .

وقيل : بل اشتراه فأعتقه .

وقيل : بل كان على ولائه لبنى لَيْث ، وإنما انقطع إلى ابن جعفر ولزمه وعُرف به .

نشأته

وكان يَبيع الطعام بالمدينة . واسم أبيه الذى أعتقه بنو ليث « يسار[1] » .

أوليته فى الغناء

قيل : وهو أوّل من عَمِل العُود بالمدينة وغنّى به .

وأخذ عنه ابنُ سُريج ، وجميلة ، ومَعبد ، وعَزّة الميلاء ، وغيرهم .

مقتله

وقُتل يومَ الحرّة ، وهو اليوم الذى قَتل فيه عسكرُ يزيدَ بن معاوية أهلَ مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلم واستباحوها فيه . وقد تقدّم ذكر ذلك فى أول الكتاب .

من غناه

وكان سائب خاثر قد آلى على نفسه ألّا يُغنى أحداً سوى عبد الله بن جعفر ، إلّا أن يكون خليفة أو ولىّ عهد أو ابن خليفة ، فكان على ذلك إلى أن قُتل .

وفوده على معاوية مع ابن جعفر

وذُكر أن عبد الله بن جعفر وَفد على معاوية بن أبى سُفيان ، ومعه سائب خاثر ، فوقّع له فى حوائجه . ثم عَرض عليه عبدُ الله حاجةً لسائب خاثر ، وسأله أن يصلَه . فسأله عنه مُعاوية . فقال : إنه رجلٌ من أهل المدينة لَيْثىّ يَروى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بشا » .

الشعر . قال : أوكُل من يروى الشعر أرادَنا أن نَصلَه ! قال : إنه يُحسِّنه . قال : و إن حَسَّنه ! قال: أفأُدخله عليك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . فأَلْبَسه مُمصَّرتين[1] : إزاراً ورداء . فلما دخل قام على الباب فغنّى :

لمن الديارُ رُسومُها قَفْرُ ... لعبتْ بها الأرواح والقَطْرُ
وخَلا لها من بعد ساكِنها ... حِجَجٌ مضَيْن ثمانٍ أو عَشْر
والزَّعفرانُ على تَرائبها ... شَرِقٌ به اللَّبَّاتُ والنَّحْر

فالتفت معاوية إلى عبدالله بن جعفر وقال : أشهدُ لقد حسَّنه ! وقضى حوائجه وأحسن إليه .

حديث مقتله يوم الحرة

وذُكر أنه لما كان يوم الحرَّة خَرج مع أهل الشام ، وكان يخشى على نفسه منهم ، وجَعل يحدِّثهم ويقول : أنا مُغنٍّ ومن حالى ومن قِصتى كَيْت وكَيْت، وقد خدمتُ أمير المُؤمنين يزيد وأباه قبله . فقالوا : فغَنِّ لنا . ففَعل . فقام إليه أحدُهم فقال : أحسنت والله ! ثم ضَربه بالسيف فقَتله .

ليزيد فى مقتله

و بلغ يزيدَ بن معاوية خبرُه ، ومرّ به اسمه فى أسماء من قُتل يومئذ ، فلم يعرفه ، فقال : من سائب خاثر هـذا ؟ فقيل له : هو سائب خاثر المغنِّى . فعرفه فقال : ويله ! مالنا وله ! ألم نُحسن إليه ونَصلْه ونَخلطْه بأنفسنا ! فما الذى حمله على عَداوتنا ! لا جَرم أن بَغيَه صَرعه !

وقيل : إنه قال : إنّا لله ! أو بلغ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقته ! ما أُرى أنه بقى بالمدينة أحدٌ . ثم قال : قبحَكم الله يأهل الشام ! تجدهم صادفوه فى حديقة أو حائط مُستتراً منهم فقتلوه .

---

(١) الممصر من الثياب : الذى فيه صفرة خفيفة .

ذكر جراتى عبد الله بن جدعان

وشىء من أخبار ابن جدعان

أصلهما

كان لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعب بن سَعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كَعب ابن لُؤىّ أَمَتان تُسمَّيان الجرادَتَيْن، تَتَغَنّيان فى الجاهليّة ، سمّاهما بجرادتَىْ عادٍ .

شىء عن ابن جدعان

وكان عبدُ الله بن جُدْعان سيِّداً مُمدَّحاً فى قُريش ، وهو ابن عَمِّ أبى قُحافة ، أبى أبى بكر الصِّدّيق رضى الله عنه . وأدركه النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم وحَضر مَأْدُبته قبل النبوة .

قدوم أمية على ابن جدعان وأخذه الجرادتين

وذُكر أن أُمية بن أبى الصّلت الثَّقفىّ قَدِم على عبد الله بن جُدْعان ، فلما دَخل عليه ، قال له عبد الله : أَمرٌمّا أتى بك ؟ فقال أُميــة : كلابٌ غُرَماءٍ قد نبَحَتنى ونَهشتْنى . فقال له عبدُ الله : قَدِمْتَ علىّ وأنا عليلٌ من حُقوق لَحقتْنى ولَزمتْنى ، فأَنْظِرنى قليلاً يَجُمّ[1] ما فى يدى ، وقد ضَمنتُ قضاءَ دَينك ، ولا أسألُ عن مَبلغه . فأقام أُميةُ أياماً ثم أتاه ، فقال :

أَأذكُر حاجتى أم قد كَفانى ... حياؤُك إنّ شِيمَتَك الحَياء
وعِلْمُك بالأُمــور وأنت قَرْمٌ ... لك الحَسبُ المُهذَّب والسَّناء
كريمٌ لا يُغيِّره صَباحٌ ... عن الخُلق السَّنِىِّ ولا مَساء
يُبارى الرِّيحَ مَكْرُمةً[2] ومَجداً ... إذا ما الكلبُ أَجْحره الشِّتاء
إذا أَثنى عليك المَرءُ يوماً ... كَفاه من تَعرُّضه الثَّناء
إذا خَلَّفتَ عبدَ الله فاعلم ... بأنّ القوم ليس لهم[3] جَداء

(١) يجم : يجتمع ويكثر .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وجودا » .
(٣) الجداء : الغناء . وفى بعض أصول الأغانى : « جزاء » .

فأَرضُـك كُلُّ مَـكرُمة بناهـا بنو تَيْمٍ وأنت لهم [1] سَمـاء
فأَبْرَز فضـلَه حقًّا عليهـم كما بَرزت لناظِرهـا السماء
وهل تَخْفى السماء على بَصـيرٍ وهل بالشمس طالعةً خَفـاء

فلما أَنشده أُميةُ هذا الشعرَ كانت عنده الجَرادتان ، فقال لأُمية : خُذ أَيّتَهما شئتَ . فأَخذ إحداهما وانصرف . فمرّ بمجلسٍ من مَجالس قُريش فلامُوه على أَخذها وقالوا له : لقد لَقيتَه عَليلاً ، فلو رددْتَها عليه ، فإنّ الشيخَ يحتاج إلى خِدمتها ، كان ذلك أَقربَ لك عنده وأكثرَ من كُل حقّ ضَمِنه لك . فوقع الكلامُ من أُمية موقعاً وندم . فرَجع إليه ليردّها عليه . فلما أَتاه بها ، قال ابنُ جدعان : لعلك إنما رَدَدْتَها لأنّ قُريشاً لامُوك على أَخذها . ووَصف لأُمية ما قال القومُ له . فقال أُمية : والله ما أَخطأْتَ يا أبا زُهير ! فقال عبدُ الله : فما الذى قلتَ فى ذلك ؟ فقال أُمية :

عَطاؤُك زَينٌ لامرىء إنْ حَبَوتَه ببَذْلٍ وما كُلُّ العَطاء يَزِينُ
وليس بشَيْنٍ لامرىء بَذْلُ وجهه إليكَ كما بعضُ السؤال يَشِين

فقال عبدُ الله لأُمية : خُذ الأُخرى . فأَخذها جميعاً وخرج . فلما صار إلى القوم بهما أَنشأ يقول :

وما لِى لا أُحيِّيه وعندى مواهبُ يَطَّلِعْن من [2] النِّجادِ
لِأَبْيَضَ من بَنى [3] عَمرو بن تَيم وهُم كالمَشْرفيّات [4] الحِداد

(١) فى الأصل : « بهم » .

(٢) النجاد : جمع نجد ، وهو ما أشرف وارتفع واستوى من الأرض . يصف مكانه بالشرف والسمو .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بنى تيم بن كعب » .

(٤) المشرفيات : جمع : مشرفى ، وهو السيف ، نسبة إلى : مشرف ، واحد المشارف — قرى من أرض اليمن — لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن ، فلا يقال : مهالبى ، ولا جعافرى ، ولا عباقرى .

لكل قبيلةٍ هادٍ [١] ورأسٌ وأنت الرأسُ يَقْدُم كُلَّ هادِى
عِماد [٢] الخَيْف قد علمتْ مَعدٌّ وإنّ البَيْتَ يُرفع بالعِماد
له داعٍ بمكّة [٣] مُشْمَعِلٌّ وآخرُ فوق دارته يُنادى
إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى [٤] مِلاءٍ لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ [٥] بالشِّهاد

حديث صنع ابن جدعان الفالوذ بمكة

ذُكر أنّ عبد الله بن جُدعان وَفد على كِسْرى فأكل عنده الفالُوذ، فسأل عنه، فقيل له: هذا الفالوذ. فقال: وما الفالوذُ؟ فقالوا: لباب البُرّيُلْبك مع عَسل النَّحل. فقال: أبْغُونى غُلاماً يَصْنعه. فأَتَوْه بغُلام يَصنعه. فأتاعه، ثم قَدم به مكة معه، فصَنع له الفالوذ بمكّة. فوَضع الموائد من الأَبْطح إلى باب المَسجد، ثم نادى مناديه: ألا مَن أراد الفالُوذ فَلْيَحْضر. فحَضر الناسُ. وكان فيمن حَضر أُميةُ بن أبى الصَّلت. فهذا مَعنى قول أُمية:

له داع بمكة مُشْمعل ... ... البيتين

من شعر أمية فى ابن جدعان

وقال فيه أيضاً:

ذُكِرُ ابن جُدْعانٍ بخَيـ ـرٍ كلّما ذُكِر الكرامُ
مَن لا يَخُون ولا يَعُـ ـقُّ ولا تُبخِّلُه [٦] اللِّئام
يَهبُ النَّجيبةَ والنَّجيـ ـبَ له الرِّحالةُ [٧] والزِّمام

(١) الهادى: كل متقدم.
(٢) الخيف: ما ارتفع عن مسيل الماء وانحدر عن غلظ الجبل. وفى بعض أصول الأغانى: «له بالخيف».
(٣) مشمعل: مبادر.
(٤) ردح: جفان عظام؛ الواحدة: رداح. والشيزى: خشب أسود تتخذ منه القصاع.
(٥) الشهاد: العسل؛ جمع: شهد.
(٦) فى بعض أصول الأغانى: «تغيره».
(٧) النجيبة والنجيب: الكريمة والكريم من الإبل، والخيل. والرحالة: السرج. والزمام: المقود. والرواية فى غير التجريد: «نجب النجيبة».

حديث آخر عن أخذ أمية الجرادتين

وقيل :

إن أُميّة بن أبى الصَّلت رآه عبدُ الله بن جُدْعان ينظر إلى الجرادتين وهو عنده فوهبه إياهما .

سؤال عائشة النبى صلى الله عليه وسلم عن شأن ابن جدعان

وروت عائشةَ رضى الله عنها قالت :

قلتُ : يا رسول الله ، إن ابن جُدْعان كان فى الجاهليّة يصل الرَّحمَ ويُطعم المِسكين ، فهل ذلك نافعُه ؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم : لا ، إنه لم يقُل يوماً : رَبِّ اغفر لى خَطيئتى يوم الدين .

استشهد ابن عيينة بشعر لأمية فى تفسير حديث

وحَكى الحُسين بن الحسن المَرْوزىّ قال :

سألتُ سُفيان بن عُيينة فقلتُ : أبا محمد ، ما تَفسير قولِ النَّبىّ صلّى الله عليه وسلّم : « كان مِن دُعاء[1] الأَنبياء قَبلى بعَرَفة :[2] لا إله إلا الله وحدَه لاشريكَ له ، له المُلك وله الحَمد وهو على كُل شىء قدير » . وإنما هو ذِكْر وليس فيه من الدُّعاء شىء ؟ فقال لى : أعرفتَ حديثَ مالك بن الحارث : يقول الله جلّ ثَناؤه : إذا شَغل عَبدى ثناؤه علىَّ عن مسألتى أعطيتُه أَفضلَ ما أُعطى السائلَ ؟ قلت : نَعم ، أنتَ حدَّثْتَنيه عن مَنصور عن مالك بن الحارث . فقال : هذا تفسيرُ ذلك . ثم قال : أمَا علمتَ ما قال أُميّة بن أبى الصَّلت حين خَرج إلى ابن جُدْعان يطلُب نائلَه وفَضْلَه ؟ قلت : لا أدرى . قال : قال :

إذا أَثنى عليك المرء يوماً كَفاه من تَعرُّضه[3] الثناء

ثم قال سُفيان بن عُيينة : فهذا عبدٌ مَخلوق يُنْسَب إلى الجُود ، فقيل له : يكفينا من مَسألتك أن تُثْنِىَ عليك ونسكتَ حتى تأتىَ على حاجتنا ، فكيف بالخالق سبحانه !

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كان من أكثر دعاء » .

(٢) زيادة انفرد بها التجريد .

(٣) فى التجريد : « تعرضك » .

شعر أمية فى احتضار ابن جدعان

ذُكِر أن أُمية بن أبى الصَّلت دَخل على عبد الله بن جُدْعان وهو يجود بنَفسه . فقال له أُمية : كيف تَجدك يا أبا زُهير ؟ فقال : إنِّى لَمُدابر ـ أى ذاهب ـ فقال أُمية :

عَلِمَ ابنُ جُدْعانَ بن عمـ ـرٍو أنّه عنّا (١) مُدَابِرْ
ومسافرٌ سَفراً بعيداً لا يَؤُوب به المُسافِرْ
فُقدورُه بِفنائه للضَّيْف مُتْرَعَةٌ زَواخِر
تَبْدو الكُسورُ مِن انْضِرا جِ الغَلْى فيها (٢) والكَراكِر
فكأنّهنّ بما حَمِيـ ـنَ وماشَجِين (٣) به ضَرائر
بَذَّ المَعاشِرَ كُلَّها بالفَضْل قد عَلِمَ المَعاشِر
وعَلا عُلُوَّ الشَّمس حتّى ما يُفاخِرُه مُفاخِر
دانت له أفناء (٤) فِهْرٍ من بنى كَعبٍ وعامِر
أَنت الجوادُ ابن الجوا دِ بكم يُنافِر مَن يُنافِر

لابن جدعان فى تركه الخمر

وحَكى ابن أبى الزِّناد قال :

ما مات أحدٌ من كُبراء قُريش فى الجاهليّة حتى ترك الخمرَ استحياءً ممّا فيها من الدَّنَس ، ولقد عابها ابنُ جُدعان قبل موته فقال فيها :

شَرِبتُ الخمرَ حتّى قال قَومى أَلستَ عن السَّفَاه بمُسْتَفيقِ
وحتى ما أُوسَّدُ فى مَبيتٍ أَنام به سوى التُّرْب السَّحِيق

(١) فى رواية : « يوماً ».

(٢) الكسور : أنصاف العظام بما عليها من اللحم . والانضراج : الانفراج . ويريد بانضراج الغلى : تفاريق الماء إذا غلا فبان ما فيه . والكراكر : أصوات الماء فى غليه .

(٣) حميت القدر : فارت وغلت . وشجين : غصصن امتلاءاً ، والضرائر : المختلفات . جعل اضطراب القدر بما فيها من هذا . وفى بعض أصول الأغانى : « وما شحن بها » مكان « وما شجين به » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « أبناء » .

وحتى أَغْلقَ الحانوتُ[1] رَهْنى وآنستُ الهوانَ من الصَّديق

وكان سببُ تَركه الخمر أنّ أُمية بن أبى الصَّلت شَرِب معه ، فأصبحت عينُ أُمية مُخضرَّة يُخاف عليها الذَّهاب ، فقال له : ما بال عينك ؟ فسكت . فألحّ عليه . فقال : أنت صاحبُها ، أصبتَها البارحة . فقال له : أَو بَلغ منِّى الشرابُ ما أَبلَغ معه مِن جليسى هذا ! لا جرَم ، لأَدِيَنَّها لك دِيَة عَيْنين .[2] فأعطاه عشرة آلاف درهم . وقال : الخمر علىّ حرَام أنْ أذُوقها أبداً . وتركها من يومئذ .

(١) أغلق الرهن : استحقه . والحانوت : الخمار . وهو أيضاً : دكانه .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لأدينها لك ديتين » .

أخبار سلّامة القسّ

شيء عنها وعمن أخذت الغناء

هى مُولَّدة من مُولَّدات المَدينة ، بها نشأت . وأخذت الغِناء عن مَعبد ، وابن عائشة ، وجَميلةَ ، ومالك بن أبى السَّمح . ومَهرت فى الغِناء .

سبب تلقيبها

وإنما سُمِّيت سلّامةَ القسّ لأن رجلاً ، يُعرف بعبد الرحمن بن أبى عَمَّار الجُشَمِىّ من قُرَّاء أهل المدينة ، كان يُلقَّب بالقَسِّ لعبادته ، شُغف بها وشُهر حتى غَلب عليها (١) .

اشتراها يزيد وعاشت بعد موته

واشتراها يزيدُ بن عبد الملك فى خِلافة سليمان بن عبد الملك أخيه . وعاشت بعده . وكانت تَنْدُبه لما مات بهذا الصوت :

قد لَعَمْرى بِتُّ لَيْلِى ... كأخِى الدَّاء الوَجِيعِ

وقد تقدّم هذا البيتُ وما بعده من الأبيات فى أخبار الأحوص .

إحدى من اتهم بهن الوليد

وكانت سلّامة إحدى من اتُّهم بهنّ الوليدُ بن يزيد مِن جوارى أبيه حين قال له قَتَلتُه : نَنقِم عليك أنّك تَطأ جَوارِى أبيك . وقد تقدَّم ذِكْر ذلك فى خبر مَقتل الوليد بن يزيد .

هى وحبابة

وذُكر أنّ حَبابة وسلّامة القسّ كانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين سلّامة أحسنهما غناء ، وحَبابة أحسنهما وجهاً . وكانت سلّامة تقول الشِّعر . وكانت حَبابة تَتعاطاه ولا تُحسنه . وكانت سلّامة لسُهيل بن عبد الرحمن ، ولها يقول ابنُ قيس الرُّقيات :

لقد فَتنتْ ريَّا وسَلّامةُ القَسَّا ... فلم تَتْرُكا للقسِّ رُوحاً (٢) ولا نَفْسَا

فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ ... ـهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشَّمسا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فغلب عليها لقبه » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « عقلا » مكان « روحاً » .

حديث افتتان القس بها وشعره فيها

وكان مَنزل القَسّ بمكّة ، وكان من أَعْبَد أَهلها ، يُشَبَّه بعَطاء بن أبى رَباح ، وأنه سَمِع غِناء سَلَّامة علي غير تَعمُّد لذلك ، فبلغ غناؤها منه كُلَّ مَبلغ . فرآه مولاها ، فقال له : هل لك أن تَدْخُل ؟ فأَبى . فقال مولاها : أنا أُقعدها بحيث تَسمع غناءها ولا تراها ولا تراك . فأَبى . فلم يزل به حتى دَخل ، فأَسمعه غناءها ، فأَعجبه . فقال له : هل لك أن أُخرجها إليك ؟ فأَبى . فلم يَزل به حتى أَخرجها ، فأَقعدها بين يديه ، فغنّت . فشُغف بها وشُغفت به . وعَرف كُلّ ذلك أهلُ مكة . فقالت له يوماً : أنا والله أُحبُّك ! فقال لها : وأنا والله الذى لا إله إلا هو أُحِبّك ! فقالت : وأنا والله أَشتهى أن أُعانقك وأُقبّلك ! قال : وأنا والله أَشتهى مِثْل ذلك ! قالت : فأشتهى أن أُضاجعك وأَضع فمى على فَمك ، وصَدرى على صدرك ! قال : وأنا والله كذلك ! قالت : فما يَمنعك من ذلك ، فوالله إنّ المكان لخالٍ ؟ قال : يمنَعنى قولُ الله عز وجلّ : (الأَخِلاَّء يَوْمئذٍ بعضُهم لبعضٍ عَدُوٌّ إلاّ المُتَّقين) وأَكره أن تتحول مودّتى إياك عداوةً يوم القيامة . ثم قام وأنصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك ، ولم يَعُد إليها بعد ذلك ، وقال :

إنّ التى طَرَقتْك بين ركائبٍ ... تَمْشى بِمَرْهَرِها وأنت حَرامُ
لِتَصيدَ قَلْبَك أو جزاءَ مودَّةٍ ... إنّ الرّفيق له عليك ذِمام
باتت تُعلّلنا وتَحسب أننا ... فى ذاك أيقاظٌ ونحن نِيام
حتى إذا سَطع الضِّياء لناظرٍ ... فإذا وذلك بيننا أَحلام
قد كنتُ أُعذُل فى السَّفاهة أهلَها ... فأُعجبُ لما تَأتى به الأيام
فاليومَ أَعذُرهم وأَعلم أنما ... سُبُل الضَّلالة والهُدى أقسام

شراء يزيد لها وغناؤها له

ولما قَدِم يزيدُ بن عبد الملك بن مروان مكةَ ، وأَراد شِرَاء سَلاّمة وعُرضتْ عليه ، أَمرها أن تُغنّيه ، فكان أولَ صوتٍ غنّته هذا الشِّعر . فاستحسنه يزيدُ واشتراها . وكان أولَ صوتٍ غنّته به لما اشتراها قولُ القَسّ فيها :

أَلَا قُل لهذا القلب هل أنت مُبصِرُ وهل أنت عن سَلَّامة اليوم مُقْصِرُ
ألا ليت أنِّى حيث صارتْ بها النَّوى جَليسٌ لسَلْمَى كلما عَجَّ مِزْهر

فقال لها يزيد : يا حَبيبتى ، لمن هذا الشعرُ ؟ فقصَّت عليه القصَّةَ . فرقّ له وقال : أحسن وأحسنتِ !

ماتت حبابة قبلها

وقيل : كانت عند يزيدَ : حَبابةُ وسلَّامة ، فتوفِّيت حَبابة فى حياته و بقيت سلَّامة بعده .

شىء عن حبابة

قلت : وحَبابة هى التى حَزِن عليها الحُزْن الشديد وتركها عنده أياماً حتى أَنْتنت ، وعاتبـــه أخوه مَسْلمة على ذلك ، فأَخرجها وخَرج فى جنازتها ماشياً ، وتمثَّل عند دفنها :

فإن تَسْلُ عنك النفسُ أو تَترك الصبا فباليأس تَسْلو عنـــك لا بالتجلدِ
وكُلُّ خليـــلٍ لامَنى فهـو قائلٌ من أجلِك هذا هامةُ اليومِ [1] أو غَد

(١) البيتان لكثير . والهامة – زعموا – : روح القتيل الذى لم يدرك بثأره ترقد عند قبره تقول : اسقونى ، اسقونى . فإذا أدرك بثأره طارت . ويقال : هذا هامة اليوم أو غدا ، أى يموت اليوم أو غدا .

أخبار العبّاس بن الأحنف

نسبه

هو العبّاس بن الأحنف بن الأسود بن طَلحة بن جَدّان بن كَلَدة ، من بَنى عَدِىّ بن حَنِيفة .

وقيل : هو العبّاس بن الأحنف بن الأَسود بن قُدامة من هفّان بن الحارث بن الذُّهل بن الدُّول بن حَنيفة .

وكان حاجبُ بن قُدامة ، عمُّه ، من رجال الدولة العباسيّة .

شعره وطبقته

وكان شاعراً غَزِلاً ظريفاً مَطبوعا ، من شُعراء الدولة العباسية . وله مَذهب حَسن . ولِديباجة شِعره رَوْنق ، ولمعانيه عُذوبة ولُطف . ولم يكن يَتجاوز الغَزل إلى مَدْح أو هجاء ، ولا يتصرّف فى شىء من هذه المَعانى .

رأى المبرد فيه

وقدّمه أبو العبّاس المُبرِّد فى كتاب « الرَّوضة » على نُظرائه ، وأَطنب فى وصفه . وكان من الظرفاء ولم يكن من الخُلعاء . وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً . وكان ظاهرَ النِّعمة ، مُلوكىّ المَذهب ، شديد التَّترُّف ، [1] وذلك بيِّن فى شعره .

أصله ومنشؤه

وقيل : كان من عَرب خراسان ، ومَنشؤه ببغداد .

رأى الحرمازى فيه

وذُكر أنه أنشد أبو علىّ الحِرْمازىّ قولَ العبّاس بن الأَحنف :

لا جَزى اللهُ دَمْع عَينِىَ خَيراً ... وجَزى اللهُ كُلَّ خيرٍ لسانى

ثُمَّ دَمْعى فليس يكتُم شيئاً ... ووجدتُ [2] اللِّسان ذا كِتْمان

كنتُ مثلَ الكِتاب أَخفاه طَىٌّ ... فاستدلُّوا عليه بالعُنْوان

---

(١) التترف : التنعم .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ورأيت » .

ثم قال الحِرمازىّ : هذا والله طِرازٌ يَطلب الشعراء مثلَه .

لعنه العلاف فرد عليه

وكان أبو الهُذَيل العَلاَّف ، شَيخ المُعتزله ، يَلعنه كثيراً لمُجانبته القولَ بالقَدر فى قوله :

إذا أردتُ سُلوًّا كان ناصركم ... قلبى وما أنا مِن قلبى بمُنتصرِ
فأكثِرُوا أو أقلُّوا من إساءتكم ... فكُلُّ ذلك محمولٌ على القَدَر

فبلغ ذلك العبّاس بن الأحنف ، فقال :

يامن يُكذِّب أخبارَ الرَّسول لقد ... أخطأتَ فى كُلِّ ما تأتى وما تَذَرُ
كذَّبْت بالقَدر الجارى عليك فقد ... أتاك منِّى بما لا تَشتهى القَدر

رأى الأصمعى والصولى فيه

وقيل للأصمعى : ما أحسنُ ما تحفظ من أشعار المُحْدَثين ؟ فقال : قولُ العبّاس بن الأحنف :

لو كنتِ عاتبةً لسَكَّن[1] لَوْعتى ... أَمَلى رِضاكِ وزُرتُ غيرَ مُراقِبِ
لكنْ مَلِلْتِ فلم تكُن لىَ حِيلةٌ ... صَدُّ المَلول خلافُ صَدِّ العاتب

وحُكى أنّ الأصمعىّ أنشد للعبّاس بن الأحنف :

أتأذنون لصَبٍّ فى زِيارتكم ... فعندكم شَهواتُ السَّمعِ والبَصرِ
لايُضمِرُ السُّوءإن طال الجُلوسُ به ... عَفُّ الضَّمير ولكن فاسقُ النَّظر

فقال الأصمعى : ما زال هذا الفَتى يُدخل يده فى جِرابه ولا يُخرج شيئاً ، حتى أدخلها فأخرج هذا . ومَن أدمن طَلَبَ شىءٍ ظَفِر ببَعْضه . فقال إبرهيم بن العبّاس الصُّولى ، لمّا سمع هذا : ما أدرى ما قال الأصمعىُّ ، ولكنِّى أُنشدك[2] للعبّاس بن الأحنف ما لا تَدفع أنت ولا غيرُك فضلَه ، ثم أنشدنى للعبّاس :

واللهِ لو أنَّ القُلوبَ كقَلْبِها ... ما رَقَّ للوَلد الضَّعيفِ الوالدُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « روعتى » مكان « لوعتى » .
(٢) الخطاب لابن مهرويه ، وبينه وبين الصولى يدور الحديث .

وقولَه :

لكنْ صَدَدتِ[1] فلم تكن لى حيلةٌ صَدُّ المَلُولِ خلافُ صدِّ العاتِبِ

وقوله :

حتى إذا اقتحم الفتى لُجج الهوَى جاءت أمورٌ لا تُطاق كِبارُ

ثم قال : هذا والله مالا يقدر أحدٌ على أن يقولَ مثلَه أبداً !

رأى سعيد بن حميد فيه

وذُكر أن سَعيد بن حُميد[2] كان يقول :

ما أعرف أحسنَ من شِعر العبّاس بن الأحنف فى إخفاء أمره ، حيث يقول فى ذلك :

أُريدُكِ بالسَّلام فأَتَّقيهم فأَعْمِدُ بالسلام إلى سِواكِ
وأُكثر فيهمُ ضَحِكى ليَخْفَى فِسِنِّى ضاحكٌ والقلبُ باكى

رأى إسحاق الموصلى فيه

وكان إسحاق بن إبرهيم المَوصلىّ يقول :

لقد ظَرُف ابنُ الأحنف فى قوله ، يَصف طُول عهده بالنَّوم ، حيث يقول :

قِفَا خَبِّرانى أيُّهـا الرَّجلان عن النَّوم إن الهجر عنه نَهانى
وكيف يكون النومُ أو كيف طَعْمُهُ صِفَا النومَ لى إن كُنتما تَصفان
وإنى لمُشتاقٌ إلى النَّوم فاعلما ولا عَهْد لى بالنَّوم منذُ زمان

رأى سلمة بن عاصم فيه

وذُكر أنّ سَلَمة بن عاصم رُئِى ، ومعه شعرُ العبّاس بن الأحنف ، فقيل له : مثلُك — أعزّك الله — يَحمل هذا ! فقال : ألا أحمل شِعْر مَن يقول :

أسأتُ إذْ[3] أحسنتُ ظَنِّى بكم والحَزمُ سُوء الظنِّ بالناسِ

(١) فيما سبق : « مللت » .
(٢) هذه رواية التجريد . والذى فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « جنيد » و « حنيذ » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « أن » .

يَقلقنى شـوقى[1] فآتيـكم والقلبُ مملوءٌ من الياس

كان الضحاك يعجب ببيتين له

وكان الحسين بن الضحّاك يُعجبه قولُ العبّاس بن الأحنف :

الحُبُّ أملكُ للفُؤاد بقهـره مِن أنْ يُرى للسِّر[2] فيه نَصيبُ

وإذا بـدا سِرُّ اللَّبيب فـإنه لم يَبْدُ إلاّ والفَـتى مَغـلوب

بيت له كان يحسده عليه أبو العتاهية

وذُكر أنّ أبا العتاهية كان يقول :

ما حَسدتُ أحداً على شِعرٍ إلاّ العبّاسَ بن الأحنف، فإنّى والله قد حسدتُه على قوله :

إذا امتنع القريبُ فـلم تَنَلْه على قُربٍ فذاك هو البَعِيـدُ

فإنّى كنتُ أولى به منه ، وهو بشعرى أشبه منه بشعره .

إشادة الواثق بشعره

وحَـكى محمد بن عَمرو الرُّومى قال :

كُنّا عند الواثق ، فقال : إنّى أُريد أن أَصنع لحناً فى شعرٍ ، معناه : أن الإنسان ، كائناً ما كان ، لا يَقدر أن يحترسَ من عدوّه ؛ فهل تَعرفون فى هذا شيئاً ؟ فأَنشدنا ضُروباً من الأشعار . فقال : ما جئتُم بشىء مثلَ قول أبى الفَضل العبّاس بن الأحنف حيثُ يقول :

قَلـبى إلى ما ضَرَّنى داعِى يُـكْثِر أَحـزانى وأَوجاعِى

كيف أُحراسِى من عدوِّى إذا كان عدوِّى بين أَضْلاعِى

أَسْلمـنى للحُبِّ أشـياعى لمّا سعى بى عندها السّاعى

لقلّما أَبْقَى على ما أَرى لابُدَّ[3] أنْ يَنْعانِىَ النَّاعى

وحَـكى أبو محمد الحَسن بن مَخْلد قال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الشوق » .

(٢) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « للستر » .

(٣) رواية غير التجريد : « لقلما أبقى على كل ذا * يوشك » .

أنشدنى إبراهيمُ بن العبّاس الصُّولى للعبّاس بن الأحنف :

إنْ قال لم يَفْعل وإنْ سِيلَ لم يَبْذُل وإن عُوتب لم يُعْتِبِ
صَبٌّ بعِصْيانى ولو قال لى لا تَشْرَبِ البارِدَ لم أَشْرب
إليكَ أَشكو رَبِّ ماحلَّ بِى مِن ظُلْمِ هذا المُذْنب المُغْضَب

ثم قال إبرهيم ؟ هذا والله الكلامُ الحَسن المَعنى ، السَّهل المَورد ، القَريب المُتناول ، المَليح اللَّفظ ، العَذْب المُستَمَع !

شعر له عمل فى وزنه على بن يحيى المنجم

ومِن رَقيق شعر العبّاس المَحفوظ فى الغِناء قولُه :

نام مَن أهدى لِىَ الأَرَقَا مُستريحاً سامَنِي (١) قَلَقَا
كان لى قلبٌ أَعيشُ به فاصطلَى بالنَّار فاحْتَرقا
أنا لم أُرْزق (٢) مَودَّتها إنما للعبد ما رُزِقا

وهذا الشعرُ عَمِل على وَزنه علىُّ بن يحيى (٣) المُنجِّم قولَه :

بأَبِى والله مَن طَرَقا كابْتسامِ البَرْق إذْ خَفَقَا
زادنى شَوقاً (٤) برُؤْيته ومَلا قَلبى به حُرَقا
مَنْ لقلبٍ هائمٍ دَنِفٍ كلّما سكَّنْتُه (٥) قَلِقا
زَارنى طيفُ الحبيبِ فما زاد أن أَغْرى بِىَ الأَرقا

وما حَمله على مُوازنة شِعر العبّاس بن الأحنف إلّا استحسانُه له .

رأى ابن المعتز فيه

وذُكر أنّ عبدَ الله بن المعتز كان يقول :

لو قِيل : ما أحسنُ شىء تعرفه ؟ لقلت : شعرُ العبّاس بن الأحنف :

قد سَحَّب الناسُ أذيالَ الظُّنون بنا وفرَّق الناسُ فينا قولَهم فِرَقا

(١) فى غير التجريد : « زادنى » .
(٢) فى الأغانى : « مودتكم » .
(٣) فى الأصل : « يحيى بن على » .
(٤) فى غير التجريد : « وبزورته » مكان « برؤيته » .
(٥) فى غير التجريد : « سليته » .

فكاذبٌ قد رَمَى بالظَّنِّ [1] غيرَكمُ وصادقٌ ليس يَدْرى أنّه صَدَقا

غضب الفضل على جارية له فذكره الموصلى بشعر ابن الأحنف

وحَكى إسحاقُ بن إبرهيم الموصلى قال :

غَضِبَ الفضلُ بن الرَّبيع على جارية له ، وكانت أحبَّ الناس إليه ، وتأخرتْ عن اُسترضائه، فَغَمَّه ذلك؛ فوَجّه إلى أبى يُعْلمه ويَشكو إليه. فكتب إليه أبى : لك العِزُّ والشرف ، ولأعدائك الذُّل والرَّغْم [2] ؛ اُستعملْ قولَ اُبن الأحنف :

تحمَّلْ عَظِيمَ الذَّنب ممّن تُحبُّه وإن كنتَ مظلوماً فقُل أنا ظالمُ

فإنّك إلّا تَغفِرِ الذنبَ فى الهَوى يُفارقْك مَن تهوى وأنفُك راغِم

فقال : صدقتَ . فبعث إليها فترضّاها .

دفاع مصعب الزبيرى عن شعره

وقيل لمُصعب الزُّبيرى : إنّ الناس يستبردون شِعْرَ العبّاس . فقال : ويحك ؟ أتقول هذا ! لقد ظلموه ، أليس هو الذى يقول :

قالت ظَلُومُ سميّةُ الظُّلمِ ما لى رأيتُك ناحلَ الجِسْمِ

يا مَن رَمى قلبى فأقصده أنت العليمُ بموقع السَّهم

من رقيق شعره

ومن رقيق شعر العبّاس قولُه:

سَلبتْنى من السُّرور ثِيابَا وكسَتْنى من الهموم ثِيابَا

كلما أغلقتْ من الوصل باباً فتحتْ لى إلى المَنيّة بابا

عذِّبينى بكُل شىء سوى الصـ ـدِّ فما ذقتُ كالصُّدود عَذابا

إعجاب الرياشى ببيتين له

وذُكِر أنّ الرِّياشى قال :

لو لم يقُل العبّاس بن الأحنف مِن الشعر إلا هذين البَيتين لكَفياه :

أُحْرَمُ منكم بما أقول وقد نالَ به العاشقُون من عَشِقُوا

صِرْتُ كأنّى ذُبالةٌ نُصِبتْ تُضىء للنّاس وهى تَحْتَرق

(١) فى غير التجريد : « بالحب » .

(٢) الرغم ، بالضم وبالفتح : الذلة .

أنشد الرشيد فى حنينه إلى بغداد فرده وجازاه

وذُكِر أنّ الرَّشيد لمّا خرج إلى خُراسان ، كان العبّاس بن الأحنف فى صُحبته . فطال مُقامه بها . ثم خَرج إلى أَرمِينية ، والعبّاس بن الأحنف معه ، فاشتاق [١] العبّاس إلى بغداد ، فلما رَكب عارضه فى طريقه وأنشده :

قالوا خُراسانُ أقصى [٢] ما يُراد بنا ... ثم القُفُول فقد جِئْنا خُراسانَا
ما أَقدَرَ الله أن يُدْنى على شَحَطٍ ... سُكّانَ دِجْلَة من سُكّان [٣] جَيْحانا
متى يكون الّذى أَرجو [٤] وآمُله ... أمّا الذى كنتُ أَخشاه فقد كانا
عينُ الزَّمان أصابتْنا فلا نَظَرتْ ... وعذّبتْ بصُنوف الهجر أَلْوانا

فقال له الرشيدُ : قد اشتقتَ يا عبّاس ! قد أذنتُ لك خاصّةً . وأمر له بثلاثين ألفَ دِرْهم ، وانصرف .

شعره الذى فيه الغناء

والشِّعر الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفَرج أخبار العبّاس بن الأحنف ، قولُه:

وإنّى ليُرْضِينى قليلُ نَوالكم ... وإن كنتُ لا أَرضى لكم بقَليلِ
بحُرْمة ما قد كان بَينى وبينكم ... من الوُدِّ [٥] إلا عُدْتُمُ بجَميل

(١) فى غير التجريد : « والعباس معه ماشياً إلى بغداد » .
(٢) فى التجريد : « أدنى » .
(٣) جيحان : نهر بالمصيصة بالثغر الشامى . (ياقوت) .
(٤) فى غير التجريد : « متى الذى كنت أرجوه » .
(٥) رواية غير التجريد : « من الوصل » .